



تفريغ

التعليق على مقالة

﴿وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ﴾

للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله

(جميع تفريغات خاصة بالمشاركين ولا يسمح بطباعتها ولا بنشرها لغيرهم أبدا)

تعليق الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله؛ نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.
اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللمسلمين والمسلمات.

أما بعد:

فيقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي -رَحْمَةُ اللَّهِ فِي مَقَالٍ لَهُ بَعْنَوَانٍ: (وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ):

قال الشيخ رحمه الله:

هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَمْرِ الرَّبَّانِيَّةِ وَأَعْظَمِ الْفُرُوضِ الدِّينِيَّةِ، وَهُوَ الْأَمْرُ بِإِتْمَامِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَأَنْ يَكُونَ
الدَّاعِي لِفِعْلِ هَذَا الْمَأْمُورِ وَتَكْمِيلِهِ إِزَادَةَ اللَّهِ وَحُدَّهُ وَإِخْلَاصَ الْعَمَلِ لَهُ، وَهَذَا هُوَ الْحَجُّ الْمَبْرُورُ الَّذِي
ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»، وَقَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال الشارح وفقه الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى
اللَّهُ وَسَلَّمُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة
عين.

أما بعد:

فهذه مقالة مختصرة ورسالة موجزة للإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رَحْمَةُ اللَّهِ؛ عنون لها بصدر الآية
التي في سورة البقرة في أوائل آيات الحج؛ قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾** [البقرة: 196]، على
هذه الآية أو على هذا الصدر للآية بنى هذه المقالة أو الرسالة، وقد ضمنها -رَحْمَةُ اللَّهِ فولئذ عظيمة جداً،
وخلصات مفيدة للحاج؛ يحسن بالحاج أن يتنبه لها، وأن يعتني بها؛ لأن هذه المقالة بُنيت على قوله:
﴿وَأَتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، فهو -رَحْمَةُ اللَّهِ سيذكر لك في هذه الرسالة ما هو عونٌ لك على إتمام حجك وتكميله؛
لتحقق قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾**، وأنصح كذلك أن يُقرأ تفسيره -رَحْمَةُ اللَّهِ لهذه الآية،

فإنه ذكر -رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾؛ ذكر في تفسيره: أن هذه الجملة تضمنت فولئذ كثيرة وذكرها -رَحْمَةُ اللَّهِ، وإن بقي لنا وقت في مذاكرة هذه الرسالة نقرأ ما ذكره -رَحْمَةُ اللَّهِ تعالى في تفسيره.

قال -رَحْمَةُ اللَّهِ: (قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَوْامِرِ الرَّبَّانِيَّةِ وَأَعْظَمِ الْفُرُوضِ الدِّينِيَّةِ)؛ لأنه كما هو معلوم الحج من فرائض الإسلام، ومن أركانه العظام ومن مبانيه الجسام، فهو طاعة عظيمة، وعبادة جليلة، وفي هذه الآية أمرٌ بإتمامه وتكميله، قال: (هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَوْامِرِ الرَّبَّانِيَّةِ وَأَعْظَمِ الْفُرُوضِ الدِّينِيَّةِ، وَهُوَ الْأَمْرُ بِإِتْمَامِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَأَنْ يَكُونَ الدَّاعِي لِفِعْلِ هَذَا الْمَأْمُورِ وَتَكْمِيلِهِ إِرَادَةً لِلَّهِ وَحُدَّةً وَإِخْلَاصَ الْعَمَلِ لَهُ)، هذا أخذه من قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾؛ لأن فيها أمرٌ بالإتمام، ولا يكون الإتمام إلا بالمتابعة، وأمرٌ بالإخلاص في قوله: ﴿لِلَّهِ﴾، ولا يكون الإخلاص إلا إذا أفرد العبد ربه بالعمل، ولم يجعل معه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شريكاً فيه.

قال: (وَهَذَا هُوَ الْحَجُّ الْمَبْرُورُ)، الحج المبرور هو الذي يعمل المرء على تكميله باتباع السنة، وعلى إخلاصه لله بأن يكون خالصاً لله لا يُبتغى به إلا وجهُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (الَّذِي ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»)، ولهذا من المهم أن يفقه الحاج بر الحج، وهذه مسألة سيأتي تفصيلها وبيانها عند الشيخ -رَحْمَةُ اللَّهِ؛ ليكون الجزاء الجنة، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة».

قال: (وَفِي الْحَدِيثِ الْأَخْرَجَ عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»)، وهذا ثوابٌ عظيم ينبغي على الحاج أن يحرص على تكميله حجه وتكميله من أجل أن يفوز بهذا الثواب ويحظى بهذا الموعود. ثم شرع -رَحْمَةُ اللَّهِ في بيان بر الحج بم يكون؟

قال الشيخ رحمه الله:

فَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ هُوَ الْجَامِعُ لِخِصَالِ الْبِرِّ كُلِّهَا وَخِصَالِ الْبِرِّ فِيهِ: أَزْكَائُهُ وَشُرُوطُهُ وَوَاجِبَاتُهُ وَمُسْتَحَبَاتُهُ وَمُكَمَّلَاتُهُ، وَلَا بُدَّ مَعَ هَذَا أَنْ يَكُونَ خَالِيًا مِنَ الْمُنْفِسَاتِ وَالْمُنْقِصَاتِ مِنَ الرَّفَثِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، فَهَذَا هُوَ تَمَامُ الْحَجِّ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الشارح وفقه الله:

تمام الحج في قوله: ﴿وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾؛ تمام ذلك بأن يكون الحج محققاً البر في حجه، مثلما في الحديث: «الحج المبرور»، يعمل على تحقيق البر في الحج، والبر في الحج كما يقول الشيخ: (الجامع لخصال البرِّ كُلِّهَا) المتعلقة بالحج؛ لأن الحج له أركان أربعة، وله واجبات وهي سبعة، وله شروط، وله آداب وسنن، فيعمل الحاج على تكميل هذه وإتمامها، وفي الوقت نفسه أيضاً يُبعد نفسه عن النواقص والنواقض يتعد عنها؛ لأن الحج له مفسدات وله منقصات، ثمّة أشياء تُفسد الحج، وثمة أشياء تُنقصه، فإذا أراد لحجه التمام والكمال فليعتن بالأركان تَمِيماً لها، وليعتن بالواجبات تَمِيماً لها، وليعتن بالشروط والسنن تَمِيماً لها، وليتجنب المفسدات والمنقصات، إن فعل ذلك حقق بر الحج الذي ليس له جزاء إلا الجنة، وحقق تمام الحج وكماله بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الشيخ رحمه الله:

وَتَوْضِيحُ ذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّ إِذَا جَمَعَ أَمْرَيْنِ تَمَّ وَكَمَّلَ، وَتَرْتَّبَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ آثَارِهِ وَفَضَائِلِهِ: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ وَالْمُتَابَعَةُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الشارح وفقه الله:

هذان أصلان، بل شرطان في كل عمل من الأعمال في الحج وغيره، بل لا يقبل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عمل العامل إلا بهما: الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الإخلاص هو مقتضى كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، والمتابعة هي مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الشيخ رحمه الله:

أَمَّا الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ: فَهُوَ أَنْ يَفْصِدَ بِحُجِّهِ وَجَهَ رَبِّهِ وَطَلَبَ رِضْوَانَهُ وَالْفُوزَ بِمَغْفِرَتِهِ وَتَوَابِهِ؛ فَيَكُونَ الْعَبْدُ مُحْتَسِبًا فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، وَفِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ فِيهِ مِنْ وَاجِبَاتٍ وَمُكَمَّلَاتٍ، وَفِي جَمِيعِ مَا يَتْرُكُهُ مِنْ مَحْظُورَاتٍ وَمَكْرُوهَاتٍ، فَيَكُونَ الْعَبْدُ مُحْتَسِبًا فِي نَعْبِهِ وَنُصْبِهِ، وَفِيمَا يُنْفِقُ فِي هَذَا السَّبِيلِ رَاجِيًا لِثَوَابِ رَبِّهِ فِي حَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ وَسَعْيِهِ وَخُطُوتِهِ؛ عَالِمًا أَنَّهُ فِي عِبَادَةٍ مُتَّصِلَةٍ مِنْ خُرُوجِهِ مِنْ وَطَنِهِ، بَلْ مِنْ عَشِيرَتِهِ إِلَى الْحَجِّ، وَشُرُوعُهُ فِي الْإِسْتِعْدَادِ لَهُ، وَجَمْعِ مَا يَخْتَاجُ لَهُ فِيهِ، فَهُوَ فِي عِبَادَةٍ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ؛ مِنْ مُبْتَدَأِ عَزْمِهِ وَسَعْيِهِ، إِلَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى وَطَنِهِ وَمَقَرِّهِ؛ حَائِزًا لِلسَّلَامَةِ وَالْقَبُولِ وَالْغَنِيمَةِ الرَّابِحَةَ وَالنَّفَقَاتِ الْمَخْلُوفَةَ وَمُضَاعَفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَعِبَادَةَ الْحَجِّ تَسْتَعْرِقُ مِنْ عُمُرِ الْعَبْدِ وَقَفَا طَوِيلًا، فَإِنَّهُ فِي عِبَادَةٍ إِنْ قَامَ وَقَعَدَ، أَوْ مَشَى أَوْ رَكِبَ، أَوْ اسْتَيْقَظَ أَوْ قَامَ، أَوْ سَارَ فِي سَفَرِهِ أَوْ أَقَامَ، أَوْ كَانَ فِي ذِكْرٍ أَوْ دُعَاءٍ أَوْ صَلَاةٍ أَوْ فِي رَاحَةٍ وَإِجْمَامِ نَفْسِهِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ كَوْنِهِ سَائِرًا فِي الطَّرِيقِ أَوْ وَاصِلًا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، أَوْ فِي عَشْرَةِ مَعَ الصَّاحِبِ وَالْمَلَاذِمِ الرَّفِيقِ، فَهُوَ مُتَّقَرَّبٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى مَوْلَاهُ؛ رَاجِيًا بِذَلِكَ فَضْلَهُ وَرِضَاهُ، فَهَذَا أَحَدُ النُّوعَيْنِ، وَهُوَ الْإِخْلَاصُ الْمُلَازِمُ لَهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ.

قال الشارح وفقه الله:

هذا بيان عظيم جدًا لمعنى الإخلاص، وربما لا تجد مثل هذا البيان بهذا البسط والإيضاح لمعنى الإخلاص في الحج في موضع آخر، بين معنى الإخلاص بيانًا دقيقًا، الإخلاص ليس أمرًا يؤتى به في أول الحج، أو عند النية، الإخلاص يُصاحبك في عملك كله؛ في حلك وترحالك، في قيامك وقعودك، في عبادتك وفي سيرك، في كل أحوالك يُصاحبك الإخلاص، تحتسب عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولهذا المُخلص مثلما نبه الشيخ - **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى**؛ حتى في إجمامه لنفسه يُحسب له، حتى في إجمامه لنفسه في سيره للحج يُحسب له ذلك، في راحته لبدنه يُحسب له ذلك، في جلوسه لتناول طعامه يُحسب له ذلك، فإن الإخلاص في العمل شأنه عظيم، يُبارك في العمل بركة عظيمة، ويُضاعف الثواب فيه مضاعفةً كبيرة، ولهذا ينبغي أن يلحظ الحاج هذا المعنى في الإخلاص، وأن يستصحب الإخلاص في عمله كله، في حجه من حين خروجه كما قال الشيخ: من وطنه إلى عوده إلى بيته ورجوعه إليه؛ يحتسب ذلك كله عند الله، وهذا كله مكتوبٌ له، والنفقة التي يبذلها في حجه كلها مخلوفة: ﴿ **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ** ﴾ [سبأ: ٣٩]، فهي مخلوفة، والأجر له مضاعف، والمذنوب تُغفر، والمدرجات تعلو وترتفع، ولهذا ينبغي على الحاج أن

يعتني عناية عظيمة دقيقة بأمر الإخلاص، وأن يستصحب الإخلاص في كل عمله، في زماننا هذا دخلت على الناس دواخل أخلت بأمر الإخلاص، وأضعفت شأنه في قلوب كثير من الناس؛ وذلك مع وجود هذه الأجهزة التي تنقل الصور الحية الثابتة والمتحركة، فأصبح كثير من الحجاج شغله الشاغل وهمه في المشاعر أن يلتقط لنفسه صوراً ثابتةً ومتحركةً ويُرسلها للناس، وكأنه يقول: انظروا لي وأنا في عرفات، انظروا لي وأنا في الطواف، انظروا لي وأنا في كذا، يُريهم العمل، هذا هو الرياء، العمل لله: ﴿وَاتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 196]، أي: مخلصين به الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولهذا في هذا الزمان جاءت أشياء زاحمت الإنسان في أمر الإخلاص، فينبغي للحاج أن يستصحب الإخلاص في طوافه في وقوفه بعرفة، في مبيته بمزدلفة، في أعماله في يوم النحر، في كل خطواته التي يخطوها في حجه يستصحب الإخلاص، إن حدثته نفسه برياءٍ أو سمعةٍ أو غير ذلك من خوارم النية فليبعدها عن ذلك؛ حفاظاً على ماذا؟ تمام الحج وكمالها، الحج الذي قال الله عنه: ﴿الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، لا يتم إلا بالإخلاص للمعبود في كل أعمال الحج، الإخلاص للمعبود **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في كل أعمال الحج.

قال الشيخ رحمه الله:

وَأَمَّا الْمُتَابِعَةُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ أَنْ يَجْتَهِدَ أَنْ يَقْتَدِيَ فِيهِ بِأَفْعَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقْوَالِهِ وَإِرْشَادَاتِهِ، فَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»، أي: اقتدوا بأقوالي وأفعالي في جميع متعلقات المناسك.

قال الشارح وفقه الله:

أما المتابعة للرسول، وهذا الشرط الثاني والأصل الثاني الذي لا يتم الحج إلا به: المتابعة للرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وقد قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في الحج: «لتأخذوا عني مناسككم»، مثلما قال في الصلاة: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وقال في عموم الطاعات: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، فالعمل لا يُقبل إلا إذا تابع فيه العامل الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ولهذا ينبغي على الحاج أن يحرص على الاقتداء بالرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في أفعاله وأقواله وإرشاداته، كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «لتأخذوا عني مناسككم»، أي: اقتدوا بي بأقوالي وأفعالي في كل أعمال الحج، ولهذا ينبغي على الحاج أن يحرص في كل خطوة يخطوها

من أعمال الحج؛ أن يحرص على أن تكون موافقةً للسنة، وذلك بقراءة الكتب المعتمدة المعتمدة في بيان المناسك، وبسؤال أهل العلم، كما قال الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

قال الشيخ رحمه الله:

وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ لِمَا وَصَلَ الْمِيقَاتُ، قَالَ: «مِنْ شَاءَ أَنْ يُهَلَّ بِعُمْرَةٍ فَلْيُفْعَلْ، وَمِنْ شَاءَ أَنْ يُهَلَّ بِحَجٍّ فَلْيُفْعَلْ، وَمِنْ شَاءَ أَنْ يُهَلَّ بِعُمْرَةٍ وَحُجَّةٍ فَلْيُفْعَلْ».

قال الشارح وفقه الله:

من هذا الموطن بدأ الشيخ -رحمة الله- يذكر خلاصة لأعمال الحج، خلاصة نفيسة جدًا مختصرة لأعمال الحج خطوة خطوة على وجه الاختصار غير المخل، يعني: اختصر -اختصارًا نافعًا مفيدًا جدًا لأعمال الحج، ذكر -رحمة الله- أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما وصل الميقات خيَّر بين أنساكٍ ثلاثة، وهي كلها مشروعة: الأفراد والقران والتمتع، قال: «من شاء أن يهل بعمره فليفعل»، وهذا المتمتع، «ومن شاء أن يهل بحج فليفعل»، وهذا المفرد، «ومن شاء أن يهل بعمره وحج فليفعل» هذا القارن، فهذه الأنساك الثلاثة كلها مشروعة، وكلها صحيحة، وفي آخر الزمان لما ينزل عيسى بن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لِيُهَلَّنَّ عيسى ابن مريم حاجًا أو معتمرًا أو ليشننهما» أي: يقرن بينهما، ذكر الأنساك الثلاثة، وهذا يدل على أن هذه الأنساك الثلاثة باقية إلى آخر الزمان مُعتبرة، لكن خلاف بين أهل العلم: أيها أفضل؟ وإلا كلها أنساك مشروعة، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيَّر بين هذه الأنساك، إذا وصلت إلى الميقات اختر ما شئت منها، كلها مشروعة، الأفراد إن شئت، والقران إن شئت، والتمتع إن شئت تختار من هذه الأنساك الثلاثة ما شئت كلها مشروعة.

قال الشيخ رحمه الله:

وَأَرْشَدَ إِلَى التَّنْظِفِ وَالْإِغْتِسَالِ وَالتَّطْيِبِ عِنْدَ الْإِحْرَامِ، وَأَنْ يَحْرِمَ الرَّجُلُ فِي إِزَارٍ وَرِدَاءٍ أَيْضَيْنِ نَظِيفَيْنِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُلَبِّي فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ.

وَلَا يَزَالُ يُلَبِّي حَتَّى يَأْتِيَ الْبَيْتَ فَيَطُوفَ لِلْعُمْرَةِ إِنْ كَانَ مُحْرَمًا بِالْعُمْرَةِ وَلِلْقُدُومِ إِنْ كَانَ مُحْرَمًا بِحَجٍّ مُفْرَدٍ أَوْ بِحَجٍّ مَعَ عُمْرَةٍ، فَيَسْتَلِمُ الْحَجَرَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَكْبُرُ وَيَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِكَ وَتَصَدِيقًا بِكِتَابِكَ وَوَفَاءً بِعَهْدِكَ، وَاتِّبَاعًا لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الشارح وفقه الله:

يقول - رَحْمَةُ اللَّهِ -: من السنة إذا وصل الإنسان إلى الميقات أن يتنظف ويغتسل ويتطيب؛ لأن هذا أكمل له عند دخوله في الإحرام، أن يدخل إحرامه وهو على أكمل أحواله؛ قد تنظف واغتسل وتطيب، كما فعل نبينا صلوات الله وسلامه عليه.

قال: (وَأَنْ يَحْرِمَ الرَّجُلُ فِي إِزَارٍ وَرِدَاءٍ أَيْضَيْنِ نَظِيفَيْنِ) الإزار يُلفُّ به جزء البدن الأسفل، والرداء يكون على العاتقين، يُغطي جزء البدن الأعلى، وأما الرأس فإنه لا يُغطي، بل يكون حاسر الرأس، وهذه الصفة فيها تذلل، فيها تواضع، وفيها خضوع وانكسار لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يلبس هذا اللباس بعد أن تطيب واغتسل وتنظف، ويُهَلِّ بِإِحْرَامِهِ مِنْ مَسَافَةِ بَعِيدَةٍ عَنِ الْبَيْتِ، وَهَذَا الْمَوَاقِيتُ مِثْلُ الْحِمَى لِلْبَيْتِ؛ يَصِلُ إِلَيْهَا الْحَاجُّ وَيَتَجَرَّدُ مِنْ لِبَاسِهِ الْمَعْتَادِ وَيَغْتَسِلُ وَيَتَنَظَّفُ وَيَتَطَيَّبُ، وَيُهَلِّ، ثُمَّ يَنْطَلِقُ مَلْبِيًّا مِنْ مَسَافَةِ بَعِيدَةٍ عَنِ بَيْتِ اللَّهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وَهَذَا مِنَ التَّعْظِيمِ أَيْضًا لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ.

بعد ذلك يُلَبِّي وَيُكْثِرُ مِنَ التَّلْبِيَةِ الَّتِي هِيَ شِعَارُ الْحَجِّ: (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ)، وَمَعَ إِكْثَارِهِ مِنَ التَّلْبِيَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحْضِرَ مَعَانِيَ التَّلْبِيَةِ وَدَلَالَاتِهَا، حَتَّى يَكُونَ لَهَا الْأَثَرُ الْعَظِيمَ وَالْعَمِيقَ فِي قَلْبِهِ وَنَفْسِهِ، لَا أَنْ يَقُولَ كَلِمَاتِ التَّلْبِيَةِ وَهُوَ لَا يَدْرِي مَا هِيَ، بَلْ يُرَدِّدُهَا مَسْتَحْضِرًا مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ وَالتَّمَاتِبَةِ وَالتَّاسْتَجْلِبَةِ لِلَّهِ: لَبَّيْكَ، هَذِهِ اسْتِجَابَةٌ لِلَّهِ، وَالتَّسَلَامَةُ وَالتَّبَعْدُ مِنَ الشَّرِكِ صَغِيرِهِ وَكَبِيرِهِ، يُكْرِرُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مَسْتَحْضِرًا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، لَا يَزَالُ يُلَبِّي حَتَّى يَأْتِيَ الْبَيْتَ، هُوَ لِأَنَّ الْمَذِينِ وَصَلُوا الْبَيْتَ أَنْسَاكُهُمْ ثَلَاثَةَ: مَتَمَّتَعُ وَقَارَنُ وَمَفْرَدُ، الْمَتَمَّتَعُ:

يطوف بالبيت طواف العمرة، وهو ركن من أركان عمرته، ويسعى بعده سعي العمرة وهو ركن من أركان عمرته، فيطوف ويسعى ويتحلل، وأما المفرد والقارن فإنه يطوف طواف قدوم، وطواف القدوم في حقها سنة ليس واجباً، وإنما هو من سنن الحج، إن فعله أثيب، وإن تركه لا يَأْثِمُ، هو من سنن الحج، فإن تيسر له طاف طواف القدوم، إن سعى بعده سعي الحج كفاه عن السعي بعد طواف الإفاضة.

قال: **(وَلِلْقُدُومِ إِنْ كَانَ مُحْرَمًا بِحَجٍّ مُفْرَدٍ أَوْ بِحَجٍّ مَعَ عُمْرَةٍ، فَيَسْتَلِمُ الْحَجَرَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيُكَبِّرُ)**، الحجر أي: الأسود، والمراتب ثلاثة: إن تيسر له تقبيله هذا أفضل، إن لم يتيسر استلمه بيده اليمنى، وإن لم يتيسر التقبيل ولا الاستلام يُشِيرُ، يُكَبِّرُ وَيُشِيرُ، فهذه مراتب ثلاثة، وإن كان الوصول إلى الحجر الأسود يترتب عليه أذى ومزاحمة فالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** نهى عن ذلك، قال: **«يا عمر إنك رجلٌ قوي لا تُزاحم الناس»**، أراد أن يذهب ليُقبِلَ الحجر، فنهاه، قال: **«لا تزاحم الناس»**؛ أنت قوي وإذا دخلت بهذه القوة ربما الضعيف يتضرر من دخول الرجل القوي، فكيف إذا دخل رجال أقوياء متماسكون حتى يصلوا، وهذا يفعله بعضهم، حتى يصل إلى الحجر، كم من الأضرار التي تترتب على ذلك؛ تقبيل الحجر الأسود سنة، وإيذاء المسلمين حرام، فلا يصلح أن يتوصل إلى سنة بارتكاب أمرٍ محرم.

قال: **(فَيَسْتَلِمُ الْحَجَرَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيُكَبِّرُ وَيَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِكَ وَتَصَدِيقًا بِكِتَابِكَ وَوَفَاءً بِعَهْدِكَ، وَاتِّبَاعًا لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)**، هذا لم يثبت، لكن الذي ثبت أنه يقول: **«بسم الله والله أكبر»**.

قال الشيخ رحمه الله:

وَيُكَبِّرُ فِي طَوَافِهِ مِنَ الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ بِكُلِّ مَا أَحَبَّ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَيْسَ لِلطَّوَافِ دُعَاءٌ مَخْصُوصٌ، إِلَّا أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ بَيْنَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَالْحَجْرِ الْأَسْوَدِ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

قال الشارح وفقه الله:

يقول: يُكَبِّرُ الْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ فِي طَوَافِهِ مِنَ الذِّكْرِ اللَّهُ وَالِدُّعَاءِ؛ لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: إنها شُرِعَ الطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله، فالطواف شُرِعَ لإقامة ذكر الله، إذا ينبغي للطائف أن يُكَبِّرُ فِي طَوَافِهِ مِنَ الذِّكْرِ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وجاء في الحديث عن نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه سئل: **«أيُّ الحجاج أعظم أجراً؟ قال: أكثرهم لله ذكراً»**. وعليه فالتفاصيل التي في الحج أعظم الناس أجراً فيها

أكثرهم ذكراً لله فيها، أعظم الطائفين أجراً أكثرهم لله ذكراً، هل يستوي طواف رجل منذُ بدأ الطواف ولسانه يلهج بذكر الله، وآخر منذُ بدأ الطواف إلى أن انتهى وهو يتحدث مع صاحبه، هل طوافها سواء، كلهم أدوا السبعة الأشواط، وكلهم أدوا الواجب في الطواف، لكن فرق شاسع بين الطوافين، فالذي يطوف ويملاً طوافه بذكر الله هذا أعظم أجراً له في طوافه وأكمل في طوافه، ولهذا ينبغي على الطائف أن يحرص على ملء الطواف بالذكر، ليس هناك ذكر مخصوص للطواف، ولا أدعية مخصوصة للطواف إلا الذي ذكره الشيخ بين الركنين: **(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)**، وهذا ثبت، ما عدى ذلك ليس هناك أذكار خاصة بالطواف، إذاً: ماذا يفعل؟ يُكثر من ذكر الله، عندك الكلمات الأربع التي هي أحب الكلام إلى الله يُكثر منها: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، يُكثر منها، يُضيف لها: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أكثرُوا من لا حول ولا قوة إلا بالله»**، يُكثر من ذكر الله، يقرأ ما تيسر من القرآن، يدعو بما تيسر من الدعاء، ليس هناك أشياء مخصصة، وليحذر من الدعاء الجماعي؛ لأنه لا أصل له، والدعاء الجماعي يُصبح يُردد ما يُقال، ويُشغل الطائفين، إن كنت تقرأ القرآن ألَبَسُوا عليك قراءتك، وإن كنت معتنياً بأذكارٍ مشتغلاً بها شوشوا عليك أذكارك، والسنة أن يكون ذكرك في الطواف بينك وبين الله، ودعاؤك بينك وبين الله: **﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾** [الأعراف: ٥٥] بين وبين الله، تدعو بما شئت، لا ترتبط بمجموعة تُردد معهم ما يُقال، وأحياناً إذا كان القائد للمجموعة ما يُحسن، يعني: بعضهم أعجمي ويقرأ من كتاب، ويلحن أحياناً لحناً يُخل بالمعنى، ثم يُردد من وراءه نفس الخطأ الذي يقوله، وهذه مشكلة إذا كان معه عشرين أو ثلاثين كلهم يُرددون ما يقول هذه مشكلة، أحد الأفاضل يقول: في المطاف سمعت أحدهم مع كتاب وراءه مجموعة يدعو، قال: اللهم لا تدع لنا ذنباً.. فقلت له: أحسن تقول: إلا قطعته، إذا كان ذنب قل: إلا قطعته، لكن ذنباً هي ذنباً إلا غفرته، لكن ذنباً هذي شيء آخر، فإذا كان ما يُحسن ويأتي هكذا بكلام لا يضبطه من حيث اللغة ولا يضبط أيضاً من حيث المعنى، ولهذا كُلُّ يشتغل بما عنده، وعندي أن الرجل الأعجمي الذي لا يعرف يدعو باللغة، خيرٌ له يدعو بلغته وهو يطوف ويطلب حاجته من أن يُردد مع هؤلاء الذين يقولون؛ أنا عندي أن هذا خيرٌ له وأقرب للحق، وإن حفظ مثلاً: **(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً)** أو كرر: سبحان الله والحمد لله والله أكبر في طوافه كله هذا خيرٌ له، وأعظم أجراً له في طوافه وأسلم له من المخالفة.

نبه الشيخ هنا قال: (وَلَيْسَ لِلطَّوَافِ دُعَاءٌ مَخْصُوصٌ، إِلَّا أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ بَيْنَ الرَّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)؛ لثبت ذلك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

على ذكر الأعاجم: بعضهم يجمع من القرآن أدعية، كل ما يجده ربنا يأخذه ويجمعه ويدعو به، وربما دعا به له ولغيره، أيضاً يذكر أحد الأفاضل أنه في المطاف سمع رجلاً يقول في دعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَقَبَّلْ مِنِّي﴾ [آل عمران: ٣٥]، هذه الآن يعني مصيبة والله، مصيبة عظيمة جداً، ولهذا باب الدعاء ما يدخل الإنسان هذا الدخول ولا بهذه الطريقة يفعل، وأنبه على ذلك وأذكر بعض الأمثلة قاصداً ذلك من أجل التنبيه؛ أعود بالله أن أقول شيئاً لأضحك على حاج، أعود بالله أن أفعل ذلك، ما أذكر ذلك إلا للتنبيه، حتى نعرف أن هذه أخطاء توجد، وربما يفعلها بعض الحجاج؛ حتى ننتبه وحتى ننبه؛ لأننا الآن نتكلم في إكمال الحج وإتمامه: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، نتكلم في إتمامه ونتعاون مع إخواننا الحجاج حتى يكمل حجنا ويتم بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الشيخ رحمه الله:

فَإِذَا فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، وَالْأَفْضَلُ أَنْ تَكُونَا خَلْفَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ يقرأ فِيهِمَا بَعْدَ الْفَاتِحَةِ بِأَنَّ قَوْلَ يَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ ﴿١﴾ [الكافرون: ١]، وَقَوْلُ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ [الإخلاص: ١].

قال الشارح وفقه الله:

إذا فرغ من الطواف من السنة أن يُصلي ركعتين، قال: (وَالْأَفْضَلُ أَنْ تَكُونَا خَلْفَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ)، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، الأفضل، لكن الآن مع امتلاء الصحن صحن المطاف بالطائفين الأحقية لمن للطائف أو للمصلي؟ الأحقية للطائف، فلا يُصلي خلف المقام، يبحث عن مكان ليس فيه زحام في أي ناحية من الحرم ويُصلي فيه في أي ناحية من المسجد يُصلي، يقول: الأفضل أن تكون خلف مقام إبراهيم، لكن مع الزحام الشديد وامتلاء الصحن صحن المطاف هذا لا يتيسر، يقرأ فيها بعد الفاتحة في الركعة الأولى: ﴿قُلْ يَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، والركعة الثانية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، والسري في ذلك: أن هاتين السورتين فيها الإخلاص لله، في التوحيد العملي في

سورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، والتوحيد العلمي في سورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فيُجدد بهذه القراءة توحيده.

قال الشيخ رحمه الله:

ثُمَّ بَعْدَمَا يُصَلِّي الرَّكْعَتَيْنِ يَسْتَلِمُ الْحَجَرَ وَيَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَيُشِيرُ إِلَيْهِ إِنْ تَعَدَّرَ اسْتِلاَمُهُ.

قال الشارح وفقه الله:

إن تيسر بعد الصلاة الذهاب إلى الحجر بأن يستلمه يُقبَّل الحجر فهذا من السنة، وإن لم يتيسر يذهب ولا يُشير، يعني: الإشارة لا أعرف فيما أذكر لا أعرف ما يدل عليها، وإنما يستلم ويُقبَّل الحجر إن تيسر له ذلك، وإن لم يتيسر يذهب دون أن يُشير، الإشارة في الطواف عند كل شوط إذا لم يتيسر له الاستلام، أما في هذا الموطن فلا أعلم ما يدل على الإشارة، ولعل بعض الإخوة ينظر ويبحث في ذلك.

قال الشيخ رحمه الله:

ثُمَّ يَخْرُجُ الْمُتَمَتِّعُ الَّذِي أَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ وَحَدَّهَا إِلَى الصَّافَا لِيَسْعَى سَعْيَ الْعُمْرَةِ، وَأَمَّا الْمُفْرَدُ بِالْحَجِّ وَحَدَّهُ، أَوْ الْقَارِنُ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَهُوَ بِالْخِيَارِ، إِنْ شَاءَ سَعَى سَعْيَ الْحَجِّ بَعْدَ هَذَا الطَّوَّافِ، وَإِنْ شَاءَ آخَرَ السَّعْيِ إِلَى يَوْمِ النَّحْرِ وَمَا بَعْدَهُ.

قال الشارح وفقه الله:

هؤلاء الذين طافوا عندهم أنساك ثلاثة: قارن ومفرد ومتمتع، المتمتع إذا طاف بالبيت سبعا وصلّى ركعتين لا بد أن يذهب للسعي بين الصفا والمروة ليس مخيرا، لا بد أن يفعل؛ لأنه بقي عليه ركن من أركان عمرته، وهو السعي بين الصفا والمروة، فيذهب ويطوف بين الصفا والمروة سبعة أشواط، ثم بعد ذلك يتحلل؛ يلحق رأسه أو يُقَصِّرُ— ويتحلل، ويعود إلى ثيابه، يعود حلالا كما كان، يجوز له كل شيء مُنَع منه بالإحرام، هذا بالنسبة للمتمتع، أما القارن والمفرد فهما بالخيار، إن أحب أن يذهب يسعي بين الصفا والمروة، يسعي ماذا؟ السعي هذا الذي إن شاء فعله وإن شاء لم يفعله؟ سعي الحج، هذا سعي الحج، إن أحب أن يُقدِّم سعي الحج بعد طواف القدوم له ذلك، فيذهب ويسعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط للحج سعي الحج، إذا طاف طواف الإفاضة لا يكون عليه سعي بعده، وإن شاء آخَرَهُ، يكتفي بطواف القدوم ولا يسعي، ويؤخر السعي إلى ما بعد طواف الإفاضة، هو مخير بين هذين الأمرين، إن شاء سعي الحج بعد هذا الطواف، وإن شاء آخَرَ السعي إلى يوم النحر وما بعده.

قال الشيخ رحمه الله:

فَإِذَا وَصَلَ الصَّفَا قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]؛ فَيَضَعُهُ عَلَى الصَّفَا وَيَسْتَقْبِلُ الْبَيْتَ وَيُكَبِّرُ وَيَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ؛ يُكْرَرُ ذَلِكَ ثَلَاثًا، ثُمَّ يَنْزِلُ وَيَمْشِي وَيَسْعَى بَيْنَ الْمِثْلَيْنِ، وَيُكْتَبِرُ فِي سَعْيِهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَدُعَائِهِ، وَلَيْسَ لِذَلِكَ دُعَاءٌ مَخْصُوصٌ، بَلْ يَذْكُرُ اللَّهُ وَيَدْعُو بِمَا تيسَّرَ مِنَ الدُّعَاءِ الَّذِي يَعْرِفُهُ الْعَبْدُ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ وَقَالَ عَلَيْهَا مَا قَالَ عَلَى الصَّفَا، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ سَعْيِهِ وَكَانَ مُتَمَتِّعًا حَلَقَ رَأْسَهُ أَوْ قَصَرَهُ، وَحَلَّ مِنْ عُمْرَتِهِ.

قال الشارح وفقه الله:

يقول الشيخ -رحمته الله-: إذا وصل إلى الصفا قرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل ذلك لما وصل إلى الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، وقال: «نبدأ بما بدأ الله به» الله عز وجل قدّم ذكرًا الصفا على المروة، ونحن نُقدّم فعلًا الصفا على المروة، نبدأ بالصفا، قدمها الله فنحن نقدمها، ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «نبدأ بما بدأ الله به»، وهذه القراءة لهذه الآية إنما يُشرع عند صعود الصفا في أول مرة، ليس في كل شوط، وإنما في الصعود للصفا أول مرة يُذكر نفسه بهذه الآية، ويُذكر نفسه أنه يعمل بمضمونها، ويُذكر نفسه أنه يبدأ بالذي بدأ الله به، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «نبدأ بما بدأ الله به»، ويستقبل البيت ويكبر رافعًا يديه على هيئة الداعي؛ لأن هذا من المواطن التي يُشرع فيها رفع اليدين، والحج في ستة مواطن يُشرع للحاج أن يستقبل فيها القبلة، ويرفع يديه ويدعو ويُطيل، وهي عند الصفا، وعند المروة، وفي عرفة، وفي الوقوف بالزدلفة، وبعد الجمرة الصغرى، وبعد الجمرة الوسطى في أيام التشريق الثلاثة، هذه ستة مواطن، فيستقبل القبلة ويرفع يديه، كثير من الحجاج يُشير، مثلما يُشير عند الحجر الأسود، بعضهم يُشير بيديه مثل الذي يُكبر في الصلاة، يُشير بيديه ويكرر الإشارة هذا لم يرد، الذي ورد عند الصفا يستقبل الإنسان القبلة ويرفع يديه على هيئة الداعي، يكبر ثلاثًا، ثم يهلل هذه التهليلات ثلاثًا ثلاث مرات، ثم يدعو بما شاء، وأيضًا الدعاء الذي يدعو به يُكرره ثلاث مرات، مثلًا: إن قال: اللهم اغفر لي ولوالدي وللمسلمين يُكررها ثلاثًا، إن قال: اللهم أصلح لي ديني.. إلى آخر الدعاء يُكرره ثلاثًا.. كل شيء يدعو به يُكرره ثلاثًا، يكبر ثلاثًا، ويهلل ثلاثًا التهليلات هذه، ويدعو أيضًا ثلاثًا، كل ما يدعو به

يُكرره ثلاثاً، قال الشيخ: يُكرر ذلك ثلاثاً، ثم ينزل يمشي— في السعي كله مشياً، إلا بين الميدين، أو بين العلمين، وهو قديماً كان بطن الوادي، يسعى بين الميدين، ويكثر في سعيه، سعيه هنا يقصد ماذا؟ المشي والسعي الذي ذُكر سابقاً، يقصد في سعيه يعني: المشي والسعي، لا يُظن أنه يُكثر في سعيه أي بين الميدين، ويكثر في سعيه من ذكر الله ودعائه، ومثلما تقدم في الطواف: ليس لذلك دعاءً مخصوص، يعني: ليس للسعي دعاءً مخصوص ثابت عن رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فيدعو بما تيسر، ويكثر من ذكر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ويدعو بما تيسر— من للدعاء الذي يعرفه العبد، وخيرٌ للعبد أن يستحضر— بعض الجوامع من أدعية النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**؛ التي جمعت للعبد خير الدنيا والآخرة، يحفظ له بعض الأدعية الجوامع ويكررها، ويكثر من دعاء الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بها، قال: **(فَإِذَا وَصَلَّ إِلَى الْمَرْوَةِ اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ وَقَالَ عَلَيْهَا مَا قَالَ عَلَى الصَّفَا)** عدا الآية: (إن الصفا والمروة)، هذه إنما تُفعل في الموطن الأول، إذا: يُكبر ثلاثاً، يرفع يديه على هيئة الداعي، يُكبر ثلاثاً ويُهَلل التهليلات المتقدمة ثلاث مرات، ويدعو ما يدعو به ثلاث مرات، ثم ينزل إلى الصفا.

قال الشيخ رحمه الله:

فَإِذَا فَرَعَ مِنْ سَعْيِهِ وَكَانَ مُتَمَتِّعًا حَلَقَ رَأْسَهُ أَوْ قَصَرَهُ، وَحَلَّ مِنْ عُمْرَتِهِ.

قال الشارح وفقه الله:

هؤلاء الذين سعوا بين الصفا والمروة ثلاثة: مثلما قدمنا القارن والمفرد إن أحبوا ذلك، وهو طواف الحج، فإذا سعوا بين الصفا والمروة لا يتحللون بيقون على إحرامهم، وإن كانوا لم يسوقوا هدياً، فالأفضل لهم أن يتحللوا ويجعلوها عمرة، وإلى هذا أرشد، بل وبه رغب **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أفضل لهم أن يتحللوا؛ يُقصرُوا من شعر الرأس، ويتحللوا ويجعلوها عمرة هذا أكمل لهم، وقد قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«لو استقدمت من أمري ما استدبرت لما سُقْتُ الهدى ولجعلتها عمرة»**، وأما المتمتع فإنه لا بد أن يتحلل؛ لأنه أنهى الآن أعمال العمرة، فيتحلل منها بالحل أو التقصير، وإذا كان الحج قريباً ما بقي عليه إلا أيام فيُقصّر لا يحلق، حتى يبقى شعراً يحلقه في يوم النحر ليتحلل في ذلك اليوم.

قال الشيخ رحمه الله:

فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّامِنِ أَحْرَمَ بِالنَّحْجِ مِنْ مَكَّةَ مِنَ الْمَحَلِّ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَفَعَلَ عِنْدَ إِحْرَامِهِ كَمَا فَعَلَ فِي الْمَيْمَاتِ وَكَلْبَى، وَالْمُفْرَدُ وَالْقَارِنُ يَنْقَى عَلَى إِحْرَامِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى مَنَى فَيُصَلِّي بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ سَارَ مِنْهَا إِلَى عَرَفَةَ، فَإِذَا صَلَّى الظُّهْرَ

وَالْعَصْرَ يَوْمَ عَرَفَةَ وَقَفَ فِي عَرَفَةَ خَاشِعًا لِلَّهِ خَاضِعًا دَاعِيًا لِلَّهِ مُكْتِرًا لِذِكْرِهِ وَالشَّنَاءِ عَلَيْهِ حَتَّى تَغِيَّبَ الشَّمْسُ، ثُمَّ يَدْفَعُ إِلَى مُزْدَلِفَةَ وَيَبِيتُ بِهَا لَيْلَةَ النَّحْرِ، فَإِذَا صَلَّى الْفَجْرَ وَقَفَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ دَاعِيًا مُسْتَغْفِرًا رَاغِبًا رَاهِبًا، وَلَيْسَ لِذَلِكَ دُعَاءٌ مَخْصُوصٌ، بَلْ يَدْعُو اللَّهَ بِمَا أَحَبَّ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِذَا أَسْفَرَ جِدًّا دَفَعَ إِلَى مَنَى، فَبَدَأَ بِجَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، وَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَوَاتٍ يَكْبُرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، وَيَلْتَقِطُ الْحَصَى إِنْ شَاءَ مِنْ مُزْدَلِفَةَ، وَإِنْ شَاءَ مِنْ مَنَى، فَإِذَا رَمَى وَحَلَقَ حَلًّا لَهُ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ مَحْظُورًا بِالْإِحْرَامِ إِلَّا النِّسَاءَ، وَيَذْبَحُ هَدْيَهُ إِنْ شَاءَ فِي مَنَى وَإِنْ شَاءَ فِي مَكَّةَ، وَيَبِيتُ بِمَنَى لِيَالِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَيَرْمِي الْجَمْرَاتِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بَعْدَ الزَّوَالِ؛ يَبْتَدِئُهَا بِالْجَمْرَةِ الْقُضْوَى عَنْ مَكَّةَ، وَيَخْتِمُهَا بِجَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، وَيَجْتَهِدُ فِي الْإِفْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ مَا أُرْسِدَ إِلَيْهِ وَمَا فَعَلَهُ فِي نُسُكِهِ، فَمَتَى اجْتَهَدَ الْحَاجُّ فِي تَكْمِيلِ الْإِخْلَاصِ لِلْمَعْبُودِ وَالْمُتَابَعَةِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ الْحَجُّ التَّامُّ الْمَبْرُورُ الَّذِي يَكْفُرُ اللَّهُ بِهِ السَّيِّئَاتِ وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ، وَهُوَ الْحَجُّ الَّذِي لَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، وَيَفِيضُ الْحَاجُّ (يفيض: أي يذهب لأداء طواف الإفاضة الأفضل إن شاء أن يكون يوم النحر، وهذا أفضل، وإن شاء في أيام التشريق أو في الليالي أيضًا) إِلَى الْبَيْتِ إِنْ شَاءَ يَوْمَ النَّحْرِ وَهُوَ الْأَفْضَلُ، وَإِنْ شَاءَ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَيَطُوفُ طَوَافَ الْحَجِّ وَيَسْعَى سَعْيَ الْحَجِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ سَعَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَبِذَلِكَ يَحُلُّ مِنْ إِحْرَامِهِ الْحَلَّ التَّامَّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ.

قال الشارح وفقه الله:

هذه خلاصة مختصرة مفيدة نافعة تكون مثل التذكرة للحاج، تُذكره بالأعمال على وجه الاختصار الدقيق غير المُخل؛ بَيِّنَ - رَحْمَةُ اللَّهِ أَعْمَالُ الْحَجِّ عَمَلًا عَمَلًا؛ لِلْمَتَمَتِّعِ وَالْقَارِنِ وَالْمُفْرِدِ، وَبَيَّنَّهَا بِشَيْءٍ مِنَ الْاِخْتِصَارِ الْبَيِّنِ الْمُفِيدِ.

فنسأل الله **جَلَّ وَعَلَا** أن ينفعنا بهذه الخلاصة النافعة المفيدة، وأن يغفر لجامعها ومؤلفها - رَحْمَةُ اللَّهِ، وأن يُصلح لنا أجمعين شأننا كله، وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، زكها أنت خيرٌ من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم إنا نسلك الهدى والتقوى والعفة والغنى.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحةً لنا من كل شر.

اللهم اغفر لنا ذنبنا كله، دقه وجله، أوله وآخره علانيته وسره.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ولمشايخنا ولولاة أمرنا وللمسلمين والمسلمات.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك وتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقوى والعفة والغنى.

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، ونسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، ونسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا، ونسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم، ونستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا.

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

اللهم أصلح لنا أجمعين النية والذرية والعمل.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.